لماذا نحب الرسول عليه الصلاة والسلام؟

(عن فرضية الأنماط الأولية التي تفسر علاقتنا به عليه الصلاة والسلام)

السؤال قد يبدو مستهجنًا..

فهو يحمل الجواب معه. نحبه لأنه الرسول عليه الصلاة والسلام.

ما دمت مؤمنًا بأنه الرسول، فهذا يعني أنك تحبه.

وبعض الحب لا يحتاج إلى إيضاح؛ لذا فربطه بأدوات الاستفهام لن يقود إلى شيء، أو هكذا نظن.

جزء من هذا الحب يكاد يكون فطريًّا بالنسبة إلينا والسؤال عنه يشبه سؤالًا: لماذا تحب أمك؟ أحب أمي لأنها أمي. نقطة انتهى.

بعيدًا عن ردِّ الفعل هذا، حتى حب الأم -رغم بداهته- يكون مرتبطًا بأسباب كثيرة وعميقة جدًّا لدرجة تجعله يبدو "بديهيًّا".

في النهاية: هناك أسباب لهذا الحب، ربما معرفتها لا تزيد هذا الحب، والجهل بها لا يقلل منه.

ولكن، لا شيء بلا سبب.

معه عليه الصلاة والسلام، الأمر أكثر تعقيدًا، أصبح هذا الحب جزءًا من إيماننا، أصبح حبه جزءًا من هُويتنا ووجودنا وتاريخنا. حتى بالنسبة إلى غير الملتزمين دينيًّا، الأمر واضح. ربما بعضهم لا يؤدي الفرائض، وحياته عمومًا بعيدة عن كل ما أمر به الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن ذكره بسوء قد يستفزهم ويغضبهم كما لو أن السوء قد أصاب أحد أفراد أسرته، وقد رأينا هذا كثيرًا في العقدين الأخيرين، مع أحداث "الصور المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام"، ورغم أن بعض ردود الأفعال كانت مسيئة لصورته عليه الصلاة والسلام أكثر من "الصور المسيئة نفسها"، لكن لا يمكن تجاوز أن أغلب ردود الأفعال كانت تعبيرًا عن رفض الإهانة، وأيضًا عن "حب" كبير له عليه الصلاة والسلام.

حمية؟ عصبية؟

ربما، لكن أيضًا "حبًّا"، مَن قال إنَّ مشاعر الحب لا تحتوي أيضًا على "الحمية" و"العصبية"، مَن يمكن له أن يدَّعي أن حبه لأمه أو وطنه أو لقضاياه لا يحتوي على نسبة من "الحمية" أو "العصبية" أو حتى الغضب؟

قد لا يكون هذا الأمر مثاليًّا تمامًا بالنسبة إلى مقاييس الإيمان برسالته عليه الصلاة والسلام، وربما ما كان سيرضى عنه.

ولكننا نتحدث الآن عن شيء موجود، عن أمر واقع، عن مشاعر حب من عدد لا يحصى من البشر على الأرض، تجاه الرسول عليه الصلاة والسلام.

لا شيء مثالي تمامًا، لكن وجود أي نسبة من الشوائب في هذه المشاعر، لن يقلل من حقيقة الحب الموجَّه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

***

سنسمع البعض يقول متذمرًا: وحدهم المسلمون يثورون وينفعلون عندما يمس أحدهم نبيهم. كل المؤمنين بالأديان والأنبياء يتعرضون أحيانًا لما يشبه هذا، لماذا لا يثورون؟

هل يحبون أنبياءهم أقل مثلًا؟

ربما يحبونهم أقل بالفعل، هذا وارد، لم ينل كل الأنبياء والرسل القدر نفسه من الحب والاتباع.

وربما أن الواقع الراهن بكل ما فيه من ظلم يجعلنا متوترين في الدفاع عمن نحب.

يستطيع المتذمرون أن يذكروا الكثير من الأسباب التي تفسر هذا "الحب" بشتى التفسيرات، وقد يكون بعضها صحيحًا، لكن هناك شيء لا يمكن إنكاره في خضم كل هذا.

يمتلك المسلمون "علاقة شديدة التميز" مع الرسول عليه الصلاة والسلام، علاقةً لا يوجد لها مثيل بين "شخص" وأتباعه.

******

يمكننا أن نبحث في علاقة كل المؤمنين بأنبيائهم أو بمؤسسي أديانهم، لن نجد مثل هذه العلاقة.

ليس فقط الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم، بل حتى مؤسسو الأديان الأخرى التي لا يزال لها أتباع، علاقة هؤلاء المؤمنين بمؤسسي أديانهم لا يمكن أن تقترب من علاقتنا به عليه الصلاة والسلام[1].

زرادشت (مؤسس الزرادشتية)، كونفوشيوس، بوذا، لاو تزو (مؤسس الطاوية) راموناجا (واحد من أهم مؤسسي الهندوسية التي لا يوجد مؤسس واحد لها)، ناناك (مؤسس السيخية)، حمزة بن علي (مؤسس الدرزية) ...ميرزا حسين علي نوري (مؤسس البهائية).. ميرزا غلام علي أحمد (مؤسس الأحمدية).

[1] ربما تكون هناك علاقات معاصرة قد تظهر بعض التشابهات السطحية، "حب مفرط من أتباع لقائد روحي" على نحو قد يجعل البعض يعتقد أن هذه العلاقة تشابه علاقة المسلمين بالنبي عليه الصلاة والسلام، لكن عند التدقيق سنرى أن هذه العلاقات تكون على "نطاق ضيق"، بين عدد محدود من الأفراد، ولفترة زمنية عابرة لا تتعدى المعدل الزمني لحياة القائد الروحي في أحسن الأحوال، لكن عندما نخرج من هذا النطاق الضيق، من (العدد المحدود) و(السنوات المحدودة) فإننا سنجد أن علاقتنا عليه الصلاة والسلام تقف منفردة متفردة، لا علاقة بين أتباع ومتبوع تشبه علاقتنا به عليه الصلاة والسلام.

كل هؤلاء أسسوا/ أو أسهموا بتأسيس أديان لا يزال لها أتباعها ومعتنقيها، كما هو الحال مع أسماء أخرى كان لها دور مهم في تاريخ الأديان السماوية، أو تأسيس مذاهب مهمة داخل هذه الأديان (بطرس، بولس، لوثر في المسيحية / يهوذا هاناسي (كاتب المشناه)، موسى بن ميمون، إبراهيم بن داود في اليهودية).

كل هذه الأسماء يُحتفى بها من قِبل أتباعهم أو أتباع مذاهبهم..

لكن لا شيء أبدًا يشابه -أو حتى يقارب- العلاقة التي تجمعنا بوصفنا مسلمين بنبينا عليه الصلاة والسلام.

لا شيء من قريب أو من بعيد.

****

بعض معتنقي هذه الأديان "ألهوا" أنبيائهم حرفيًّا، البعض منهم أضافوا صفات إلهية إلى المؤسسين، والبعض الآخر أعدَّ هؤلاء المؤسسين تجسيدًا بشريًّا لله، وحلولًا لله في البشر... ألا يجعل هذا "علاقتهم" أكثر قوة من علاقتنا كمسلمين به عليه الصلاة والسلام؟

في تصوري: على العكس.

التأليه يقتل علاقة الحب الشخصية، يمكن للتأليه أن يجعل العلاقة علاقة عبادة وتعبد تتضمن الحب، لكن "الحب الشخصي" الذي نحمله بوصفنا مسلمين للنبي عليه الصلاة والسلام شيء مختلف تمامًا.

بل إن منطقة التوازن هذه، بين منتهى الحب وغايته، وبين عدم السقوط في التأليه -على صعوبتها- هي المنطقة التي سكنت فيها قلوب المسلمين في علاقتهم بالنبي..

لا مقارنة ممكنة أصلًا.

*****

سيقول البعض: وحدهم المسلمون هكذا، لأنهم يعيشون في الماضي...

لنفترض هذا..

لكن مع علاقة (مميزة ومختلفة) كهذه، هناك احتمالان لتفسيرها...

إما أن يكون الأمر في المسلمين أنفسهم (كأن يكونوا عالقين في الماضي فعلًا كما قال هذا البعض، وإمَّا أنهم يريدون استعادة مجد الماضي، أو أي سبب آخر مرتبط بالمسلمين أنفسهم).

أو أن يكون الأمر مرتبطًا أكثر به عليه الصلاة والسلام..

<u>أي أن يكون تفرُّده وتميُّزه هو الذي جعل العلاقة على هذا النحو.</u>

أي أن تاريخ الإنسانية لم يشهد رجلًا يقاربه في صفاته؛ ولذلك لم يشهد التاريخ مثل هذا الحب لأحد سواه..

أي أن فرادة العلاقة نتجت عن "فرادته" كشخصية لم يكن هناك -عبر التاريخ- من يشابهها أو يقترب منها.

******

بالنسبة إلينا، كل ما سبق بديهي، أمر لا نفكر فيه ولا في أسبابه، بالضبط كما لا نفكر في كل بديهيات حياتنا التي لا تتغير، هو جزء من مكونات تفكيرنا، بل جزء منا، ليس تعبيرًا مجازيًّا. محبة الرسول عليه الصلاة والسلام دخلت في "الشخصية الجمعية أو السلوك الجمعي collective behavior" لمئات الملايين من المسلمين، عاداته اليومية تحولت لتكون جزءًا من طريقة حياة مئات الملايين من طنجة إلى جاكارتا.

حضور اسمه الشريف أصبح جزءًا من "الهوية الجمعية collective identity" التي توحد الملايين، من معرفتهم بأنفسهم، ومما يوحد بينهم وبين الآخرين.

تعريف الملايين لأنفسهم أنهم (مسلمون)، يتضمن ذكر اسمه، شهادتهم له بأنه رسول الله، جزء لا يتجزأ من جوهر إسلامهم.

المسلمون -بشكل عام- عبر اختلاف شعوبهم ولغاتهم وثقافاتهم وعاداتهم، هناك ما يوحدهم في اسمه عليه الصلاة والسلام، باختلاف طريقة اللفظ، محمد، مِمَت[2]، مامدو[3]...

عندما يدب بينهم خلاف، يقول واحد منهم: صلوا على النبي، فيرد الجميع بالصلاة عليه كما لو أنهم يعودون لـ "نقطة لا خلاف عليها".

عندما يرون شيئًا فائقَ الجمال، يشهقون: الصلاة على محمد وعلى آل محمد، كما لو أن كل شيئًا رائعًا لا بدَّ أن يرتبط به عليه الصلاة والسلام.

لا ريب أن الأمر يزرع منذ الطفولة، لا نقاش في هذا، ولكن ليس كل ما يزرع في الطفولة يبقى راسخًا ومثمرًا كهذا الحب. لا بدَّ أن هناك ما يجعله على ما هو عليه، لا بدَّ أن هناك ما يجعل هذه العلاقة متفوقة ومتميزة ومختلفة عن كل العلاقات بين (الأتباع) و(المتبوعين) من أنبياء وقادة ومصلحين على مر العصور.

لا علاقة للأمر بدرجة الالتزام الديني والعلم الشرعي، ففي التدين الشعبي كثيرًا ما تطغى العواطف على أي شيء آخر، بل إني أجزم أن البعض قد لا يملك شيئًا من الدين سوى عاطفة حب قوية للنبي عليه الصلاة والسلام.

******

فلأحدد هنا بعض النقاط الأساسية التي تتيح لنا أن ننظر إلى علاقتنا به عليه الصلاة والسلام:

---

[2] في التركية والألبانية.

[3] في بعض اللهجات الإفريقية.

أولًا: يتعلق الأتباع بمن يتَّبعون لأسباب تتعلق بمكانة هذا المتبوع، وهي مكانة ناتجة غالبًا عن أهم ما قدمه: رسالة دينية/ روحية (كما في حالة الأنبياء/ أو مؤسسي الأديان الأخرى أو المدربين الروحيين)، أو تأسيس لأمة أو دولة (كما في حالة الآباء المؤسسين للدول، أو قادة عسكريين كبار وحدوا أوطانهم وحققوا لها انتصارات تاريخية) أو تعليمات وإرشادات في الحياة (أقوال مأثورة، حكم، قصص فيها عبر ومواعظ).

ثانيًا: هذه المنجزات تختلط مع السير الشخصية لهؤلاء القادة، وغالبًا ما يجد الجمهور صفاتٍ معينةٍ أساسيةٍ في هذه الشخصيات تكون بمنزلة نقطة (تعلق) بينهم وبين هذه الشخصية. صفات تقرب هذه الشخصيات لهم وفي الوقت ذاته تكون بمنزلة حافز لهم في حياتهم.

ثالثًا: سأفترض هنا أن وجود عدة "صفات أساسية" أو " نقاط تعلق" (أي أكثر من صفة واحدة) في هذه الشخصية ينتج علاقة أكثر عمقًا بينها وبين جمهور الأتباع، كلما زادت هذه الصفات، تعمقت العلاقة وتعملقت.

رابعًا: بما أن علاقة المسلمين بالنبي عليه الصلاة والسلام تفوق أي علاقة أخرى بين جمهور وقائد، فإن السبب في تصوري وجود عدد أكبر من "نقاط التعلق" مع خاتم الأنبياء، وهذه النقاط تحولت لتكون جزءًا أساسيًّا من علاقة مئات الملايين من المسلمين به عليه الصلاة والسلام.

****

هل أقول هنا إن النبي عليه الصلاة والسلام هو "أفضل وأكمل البشر"؟

بالتأكيد، سيد الخلق، لا جدال في ذلك.

ما الجديد في هذا؟

هذا ما نعرفه جميعًا بوصفنا مسلمين، وهو جزء أساسي من إيماننا..

في رحلتنا هذه، سنحاول التدقيق في (الصفات الأساسية).. وبالصفات الأساسية هنا، أقصد شيئًا آخرَ غير ما تعودناه من كلمة (الصفات).

أقصد ما يترجم عادة (بالأنماط الأولية).

أو الـ Archetype.

الأنماط الأولية **Archetypes**

كان العالم السويسري كارل يونغ[4] (1875-1961) هو أول من استخدم مصطلح الأنماط الأولية في علم النفس لوصف نماذج متكررة من الشخصيات والسلوكيات اشتركت بها كل المجتمعات البدائية في أساطيرها وحكاياتها المتوارثة، حتى لو كانت لا تملك أي وسيلة تواصل بينها.

حسب يونغ: "كما أن الجسد البشري يتمتع بتشريح مشترك يتجاوز كل الفروقات العرقية، فإن النفس أيضًا تمتلك بنية تحتية مشتركة[5]." وهذه البنية التحتية المشتركة تتجلى في الأنماط الأولية.

ولتبسيط فكرة الأنماط الأولية: فلنفترض أن الباحثين وجدوا رسومات بدائية على جدران الكهوف في قارات مختلفة وأماكن بعيدة عن بعضها (جنوب شرق آسيا وأوروبا وأمريكا الجنوبية على سبيل المثال)، وتعود لحقبة زمنية واحدة، ووجدوا أن هذه الرسومات تشترك بوجود رمز معين (دائرتان متداخلتان وسط مثلث مثلًا)، فهذا سيعني أن البشر أينما وجدوا، ودون أي تأثير متبادل، سيرسمون هذا الرمز، كما لو أنهم برمجوا على ذلك، أو كما لو أنه موجود داخل طبيعتهم البشرية.

لماذا؟ لأن تباعد القارات في تلك الفترة كان ينفي وجود التأثير المتبادل المحتمل، وهو الأمر الذي أصبح محتملًا أكثر لاحقًا مع تطور وسائل النقل.

الأنماط الأولية مثل هذا الرمز المشترك الافتراضي على جدران الكهوف، لكنها في الحقيقة ليست رمزًا، بل مجموعةً من الشخصيات التي كان لها حضور مشترك في أساطير وحكايات الشعوب البدائية على الرغم من عدم وجود تأثير متبادل بين هذه الشعوب.

اعتبر يونغ أن هذه (الأنماط) أصبحت تُشكِّل جزءًا أساسيًّا من (اللاوعي الجمعي) الذي انتقل بالوراثة[6] (حسب يونغ) من الأسلاف في المجتمعات البدائية وصولًا إلى الإنسان المعاصر، وأصبحت تحدد الكثير من أفكار هذا الإنسان وسلوكياته دون أن يكون واعيًا بهذا الدور.

على سبيل المثال: النمط المتكرر الأولي للأم في كل المجتمعات البدائية (وحتى الآن) تتمثل في الحنو والرعاية والاهتمام، وهو نمط يفرض سلوكًا " متشابهًا" تجاه الأم في كل هذه المجتمعات، وهذا بدوره ينتقل كمحصلة خبرات إلى الأجيال اللاحقة. وعندما يحدث أن تكون هناك أم (مغايرة) لهذا النمط -كأن تكون أمًّا مهملة أو نابذة - فإن هذا ينتج اضطرابًا في الطفل الذي لن يجد التوافق بين (النمط الأولي) في لا وعيه، وبين الأم في حياته الواقعية[7].

---

[4] كارل غوستاف يونغ (1875–1961) طبيب نفسي سويسري ومؤسس علم النفس التحليلي، اشتهر بمفاهيمه عن اللاوعي الجمعي والأنماط الأولية. تميّزت نظرياته بالتركيز على الرموز والأساطير والدين لفهم النفس البشرية وتكامل الشخصية.

[5] — Jung, *CW 9, Part 1, para. 4*

[6] لا يرى يونغ أن هذه الأنماط قد انتقلت كما تنتقل صفات لون العيون أو الطول، بل باعتبارها استعدادات أصيلة داخل النفس البشرية.

[7] تعرض هذا النمط إلى هجوم كبير في المئة سنة الأخيرة، حيث يقوم الكل بتحميل الأم كل المشاكل النفسية وبطريقة مبالغ بها، رغم ذلك يبقى للنمط أهميته ومكانته

الأمر ذاته بالنسبة إلى الأب، إلى البطل الشجاع، إلى الشيخ الحكيم، القائد.. حسب يونغ كل هذه (أنماط أولية) توارثها البشر منذ المجتمعات البشرية الأولى حتى اليوم، وأصبحت تلعب دورًا في تقييمنا للأحداث والشخصيات. كلما اقتربت شخصية ما من (النمط الأولي)، تفاعلنا مع هذه الشخصية على نحو أكثر إيجابية وانجذبنا لها، وكلما ابتعدت هذه الشخصية عن مواصفات النمط الأولى (كان تكون الأم نابذة، أو البطل الشجاع مدعي لا أكثر، إلى آخره) تفاعلنا على نحو سلبي مع هذا الشخص.

كيف توصل يونغ إلى هذه "الفكرة"؟

وجد يونغ "مشتركات كثيرة" في الأساطير والحكايات المتوارثة في المجتمعات البدائية، وبما أن بعض هذه المجتمعات كانت متباعدة على نحو يصعب تفسير الأمر بمجرد انتقال هذه القصص من مجتمع إلى آخر، فقد توصل يونغ إلى أن (اللاوعي الجمعي البشري) يمتلك مشتركات أساسية تجعله ينتج هذه الأساطير والحكايات التي يمرر من خلالها خلاصة خبراته في الحياة، وهي خبرات متعلقة أساسًا بالقدرة على البقاء على قيد الحياة والنجاة من المخاطر وتكاتف المجموعات البشرية...إلى آخره. وهذا يجعل من شخصيات مثل البطل الشجاع والأم الحريصة والشيخ الحكيم والقائد تمتلك مكانةً أساسيةً في هذه الأساطير.

يعتبر يونغ -إلى جانب فرويد- من أهم مؤسسي علم النفس الحديث، وذلك على الرغم من الاختلاف الكبير بينهما فبينما كان فرويد يولي (اللاوعي) الأهمية الأكبر ويعتبره نتاجًا للرغبات الجنسية المقموعة، فإن يونغ كان يعتبر أن اللاوعي ينتج عن عوامل عديدة ويكون دوره (تفاوضيًّا) أكثر منه قمعيًّا. كذلك كانت رؤية كلٍّ منهما للدين مختلفة تمامًا، فبينما كان فرويد ملحدًا يعتبر الدين بمنزلة (هوس عصابي عالمي)[8]، فإن يونغ كان مقرًّا بوجود الله وله موقف أكثر تعاطفًا مع الدين وإمكانية أن يكون له دورًا إيجابيًّا في فهم النفس البشرية. وهذا الموقف جعل كثيرين من التيار العلموي[9] يتهمون يونغ بالتصوف[10]، وبأن ما قدمه يندرج تحت (العلم الزائف)[11].

الكثير من آراء فرويد لم تصمد ولم يعد لها مكان مهم في علم النفس المعاصر، وكذلك هو الأمر مع يونغ، لكن في الوقت ذاته فإن الأفكار الرئيسة ليونغ عن (الأنماط الأولية) وانتقالها عبر (اللاوعي الجمعي) أخذت تجد دعمًا كبيرًا من حقول علمية

---

[8] Westen, D. (2005). *Sigmund Freud*. In E. N. Zalta (Ed.), **Internet Encyclopedia of Philosophy**. https://iep.utm.edu/freud-r/

[9] **العلموية (Scientism)** هي الاعتقاد بأن المنهج العلمي هو الطريق الوحيد أو الأسمى لمعرفة الحقيقة، وأن كل ما لا يمكن قياسه أو اختباره علميًا هو وهم أو لا قيمة له.ينتقدها كثيرون لأنها تُقصى الفلسفة، والدين، والتجربة الإنسانية من دائرة الفهم المشروع.

[10] *Lachman, Gary (2010). Jung the Mystic. New York: Tarcher/Penguin. p. 258.ISBN 978-1-58542-792-5.*

[11] Fritscher, L. (2025, July 8). *What collective unconscious theory tells us about the mind*. Verywell Mind. https://www.verywellmind.com/what-is-the-collective-unconscious-2671571

مختلفة[12]، مثل علم النفس التطوري وعلم الأحياء[13]، كما أخذ البعض يقارنها بـ (التكيفات النفسية العالمية Global Psychological Adaptations)[14].

كذلك دخل إرث يونغ عن "الأنماط الأولية" عالم التسويق وبنجاح كبير، حيث أخذت الشركات الكبرى تستثمر في هذه الأنماط عبر حملاتها التسويقية لكي تجذب (لا وعي المستهلك المستهدف) ويشعر بالقرب أكثر من منتجاتها[15].

كذلك، فإن فرضيات يونغ هي الأساس الذي بُني عليه مؤشر اختبار الشخصية (Myers Briggs Test Indicator- MBTI)، وهو الاختبار الأكثر شعبيةً واستخدامًا في الشركات العالمية (80 بالمائة من قائمة Fortune الـ 500 و89 بالمائة من قائمة Fortune الـ 100 تستخدم هذا الاختبار في التوظيف[16]) رغم أن هذا الاختبار ليس له أسس علمية متينة ويعتبره أكاديميون كثيرون غير موضوعي ولا قيمة له[17].

لكن مبادئ يونغ في الأنماط الأولية أصبحت تعتبر أداةً معتبرةً في دراسة وفهم تأثير الشخصيات التاريخية على العقل الجمعي، ولا يعني هذا أنها تمثل تحليلًا نفسيًّا لهذه الشخصيات التاريخية، بل تمثل كيف نظر لها العقل الجمعي وكيف تعامل مع إرثها عبر التاريخ[18].

---

[12] Stevens, A. (2015). *Archetype Revisited: An Updated Natural History of the Self*. Routledge. https://www.routledge.com/Archetype-Revisited-An-Updated-Natural-History-of-theSelf/Stevens/p/book/9781138824690

[13] Bal, A. (2017). *New perspectives on the unconscious mind and their comparison with Carl Jung's theory of the archetypes and the collective unconscious: A literature review*. *ResearchGate*. https://www.researchgate.net/publication/335260095_New_Perspectives_on_The_Unconscious_Mind_and_Their_Comparison_with_Carl_Jung%27s_Theory_of_The_Archetypes_and_The_Collective_Unconscious_A_Literature_Review

Goodwyn, E. (2010). *Approaching archetypes: Reconsidering innateness. Journal of Analytical Psychology, 55*(4), 502–521. https://doi.org/10.1111/j.1468-5922.2010.01862.x

[14] **Walters, S.** (1994). *Algorithms and archetypes: Evolutionary psychology and Carl Jung's theory of the collective unconscious*. *Journal of Social and Evolutionary Systems, 17*(3), 287–306. https://doi.org/10.1016/1061-7361(94)90013-2

[15] Tsai, S.-P. (2006). Investigating archetype-icon transformation in brand marketing. *Marketing Intelligence & Planning, 24*(6), 648–663. https://doi.org/10.1108/02634500610701708

[16] Mejia, Z. (2017, June 12). *If you have this personality type, chances are you're making more money than your co-workers*. CNBC. https://www.cnbc.com/2017/06/12/workers-with-this-myers-briggs-personality-type-earns-the-highest-annual-income.html

[17] Yancey-Bragg, N. (2019, May 7). *Here's why people still take the Myers-Briggs test — even though it might not mean anything*. USA TODAY. https://www.usatoday.com/story/news/nation/2019/05/06/myers-briggs-type-indicator-does-not-matter/3635592002/

[18] Lindenfeld, D. (2009). *Jungian archetypes and the discourse of history*. *Rethinking History, 13*(2), 217–234. https://doi.org/10.1080/13642520902833833

ما علاقة كل هذا الحديث عن (يونغ) و(الأنماط الأولية) بسيرة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام؟

لا علاقة مع سيرته عليه الصلاة والسلام، **العلاقة هي مع سيرتنا نحن معه، مع " سيرة حبنا " له**.

العلاقة هي مع (علاقتنا) نحن به عليه الصلاة والسلام، علاقة الحب التي قد نعبر عنها أحيانًا بطرق ما كانت سترضيه عليه الصلاة والسلام.

كيف تساعدنا نظرية الأنماط الأولية على فهم علاقتنا به صلى الله عليه وسلم؟

ما هذه الأنماط الأولية؟

لفهم ذلك علينا أولًا أن نتعرف على أهم هذه الأنماط الأولية[19] في الشخصية الإنسانية، التي تكررت في الموروث الشعبي حول العالم وعبر التاريخ على نحو يشير إلى وجود استعداد فطري عند البشر للتركيز على هذه الأنماط والتأثر بها.

فلننتبه هنا إلى أن كل نمط من هذه الأنماط الأولية يضم جانبًا يمكن أن يحتوي على نقاط ضعف، لكنها لن تكون موجودة في علاقتنا بسيرته عليه أفضل الصلاة والسلام، فهو أكمل البشر، ولكنها موجودة عند الناس العاديين وستمر هنا فقط للتوضيح.

أولًا: **النقي، البريء، المثالي The Innocent**

في كل عصر وكل مكان كان فيه بشر هناك أساطير أو حكايات عن العصر الذهبي (السابق أو القادم) حيث الحياة مثالية أو ستكون مثالية. يرى البريء أن الحياة يمكن أن تكون مثالية، العالم يجب أن يكون أفضل مما هو عليه، في داخل كل منا، هناك طفل عفوي بالغ الثقة بما حوله، قد يكون معتمدًا على الآخرين قليلًا، لكنه متفائل بأن الرحلة إلى عالم أفضل ممكنة.
أعظم نقطتي قوة لهذا النمط هي ثقته وتفاؤله، وهذان قد يجعلانه "محبوبًا" من الآخرين، وبالتالي يمكنه من الحصول على المساعدة والدعم في سعيه، تعاطفنا مع هذا النمط هو في حقيقته تعاطف مع جزء منسي من براءتنا ونقائنا.
يكمن الخطر الرئيس في هذا النمط في أنه قد لا يكون قادرًا على رؤية نقاط ضعفه، وتفاؤله المفرط قد يجعله بعيدًا عن حقائق الواقع.

Shadraconis, S. (2013). *Leaders and heroes: Modern day archetypes*. *LUX: A Journal of Transdisciplinary Writing and Research from Claremont Graduate University, 3*(1), Article 15. https://scholarship.claremont.edu/lux/vol3/iss1/15/

[19] الأنماط المستخدمة هنا هي نسخة محدثة من عمل يونغ، ومستندة إلى عمل كارول س بيرسون وهي عالمة نفس استندت إلى عمل يونغ وجوزيف كامبل لبناء ما عرفته بالنظام الإثني عشري للأنماط الأولية.
Pearson, C. S. (1991). *Awakening the heroes within: Twelve archetypes to help us find ourselves and transform our world*. HarperOne.

يمكن لهذا النمط أن يعبر أيضا عن شخصية المتدين صادق الإيمان، المتعبد الذي يتحول نقاؤه إلى علاقة مع مصدر النقاء الأول، الخالق عز وجل.

ثانيًا: اليتيم Orphan The

يدرك اليتيم، عبر وعيه المبكر بالفقد، أن كل شخص مؤثر ومهم، وأن غياب شخص واحد فقط قد يساوي انهيار العالم. في أعماقه هناك طفل مجروح باليتم، مع سقف توقعات منخفض جدًّا من الحياة، ولكن هذا أيضًا يعلمه أن يفهم "معاناة الآخرين"، يجعله أقرب إلى الواقع، إلى الشارع حيث الحياة الحقيقية التي لا تمنح شيئًا بالمجان.

لأن اليتيم يفقد جزءًا مهمًّا من الحب غير المشروط الذي يتمتع به بقية الأطفال فإنه يفهم مبكرًا معنى (الأخذ والعطاء في العلاقات الإنسانية، الاعتماد المتبادل بين الأقران) - ويفهم أيضًا الواقعية التي اضطر أن يتعلمها في سن مبكرة.

الخطر هو أن البعض منهم يقعون في عقلية الضحية وبالتالي لا يحققون موقفًا بطوليًّا أبدًا.

علينا أن ننتبه أيضًا أن نموذج اليتيم يسمى أحيانًا بنموذج "الرجل العادي everyman "، وهو الإنسان الذي يشبهنا جميعًا، يشبه جارك ويشبهك ويشبه الرجل الذي ينتظر الحافلة على الرصيف المقابل. رغم بساطة هذا النموذج فإنه تكرر كثيرًا لأننا نتفاعل مع التشابه بيننا وبينه، ويجعلنا أكثر تأهبًا وتقبلًا لكل ما يمكن أن يمر به هذا "العادي" من أحداث غير عادية.

ثالثًا: المحارب/ البطل The Warrior

عندما تضيق الأمور وتستحكم الحلقات، ويظن الجميع أنها النهاية، يركب المحارب جواده ويشهر سيفه ليغير كل شيء. النمط الأولي للمحارب صلب وشجاع، يساعده على تحديد الأهداف وتحقيقها، والتغلب على العقبات، والاستمرار في أشد الأوقات صعوبة، وغالبًا ما يميل إلى التفكير بطريقة (إما / أو) التي لا تقبل التفاوض والحلول الوسط.

المحارب بسيط نسبيًّا في طريقة تفكيره، ويسعى ببساطة إلى الفوز والانتصار في كل ما يواجه بما في ذلك غيلان الأساطير التي تعيش داخل العقل.

التحدي الذي يواجهه هو إضفاء معنى على ما يفعله واختيار معاركه بحكمة، وهو ما يفعله غالبًا عبر الشجاعة والالتزام بانضباط المحارب.

النمط الأولي للمحارب يمكن أن يلهم الطالب الذي يواجه امتحانًا مصيريًّا صعبًا، أو الأرملة تكافح لتربية أطفالها وتخطف لقمتهم بعرق جبينها، أو مريض بالاكتئاب يصارع من أجل التمسك بالحياة، أو مفكر يحارب الفكر السائد بفكرة يراها أكثر صوابًا وأقرب إلى الحقيقة.

أعمق مخاوفه هي الضعف والعجز.

رابعًا: الراعي/ مقدم الرعاية The Care giver

نمط الراعي هو نموذج حي على الإيثار، الشخص الذي يجد نفسه في مساعدة الآخرين، يتحرك بالرحمة والكرم ونكران الذات لمساعدة الآخرين.

وجود هذا النمط في داخلنا يساعدنا في تربية أطفالنا ومساعدة المحتاجين وبناء مؤسسات للحفاظ على الحياة والصحة.

المثل الأعلى لهذا النمط هو الأم التي تقدم لأطفالها الرعاية والحب والاهتمام دون شروط. ولكن النمط يتوفر أيضًا في الكثير من الشخصيات التي تقدم الرعاية والاهتمام لأشخاص لا تربطهم بهم رابطة قرابة أو حتى معرفة.

من المخاطر التي يتعرض لها مقدم الرعاية أنه في سعيه لمساعدة الآخرين ينسى نفسه، وقد ينتهي به الأمر إلى التعرض للأذى الشخصي نتيجة ذلك.

خامسًا: الباحث The Seeker

يميل نمط (الباحث) إلى الخروج من منطقة الراحة والاعتياد التي تحيط بالأشياء ويخرج ليكتشف ويستكشف المجهول بحثًا عن الحق والحقيقة، أو عن حقيقة ما، أو عن منظومة أكثر عدلًا، أو أرض جديدة ومجتمع جديد، أو ربما يبحث عما يحقق له ذاته. هذا النمط الصلب داخليًا يبحث عن مسارات جديدة متحديًا الشعور بالوحدة والعزلة التي قد تأتي مع هذا البحث ولأنه غالبًا ما يكون معارضًا للسائد فإنه يساعدنا على اكتشاف تفردنا، وجهات نظرنا وقضايانا. يهدف الباحث إلى العثور على شيء يجعل الحياة "أفضل" أو على الأقل يمنحها معنى أعمق. الباحث يعتنق التعلم والطموح، ويتجنب الاعتماد على الآخرين، فهو يحتاج إلى أن "يقوم بذلك بنفسه".

لكنه قد يسقط في فخ البحث الذي لا ينتهي إلى شيء، البحث للبحث بحد ذاته.

سادسًا: المحب/ العاشق The Lover

يعبر نمط "المحب" عن الحاجة الإنسانية العميقة إلى الارتباط، التي قد تبدأ منذ انفصال الجنين عن أمه لحظة الولادة. هذه الحاجة تعبر عن نفسها بطيف واسع من المشاعر تجاه الأشخاص والأماكن وحتى الأشياء، ويشعر المحب من خلالها أن ارتباطه يحقق له نوعًا من الطمأنينة الداخلية، تتدرج مشاعر الحب تجاه الأشخاص من الحب للأم أو الأب والصداقات البسيطة إلى الحب بين الرجل والمرأة.

يخشى المحب أن يفقد الحب الذي حصل عليه مما يدفعه إلى بذل جهد كبير للحفاظ على علاقته بمن يحب.

سابعًا: الهادم أو المتمرد The Destroyer

يطلق نمط الهادم أو المتمرد "الغضب المكبوت" تجاه المؤسسات السائدة والمدعومة التي قد تقوم باستغلال الناس واستلابهم ويحول غضبه إلى أداة هدم لهذه المؤسسات.

نمط الهادم يحتوي على مفارقة واضحة فهو يزيل الأعشاب الضارة في الحديقة بطرق تسمح بنمو جديد. والهدم الذي يمارسه يحتوي ضمنًا على رغبة بناء شيء بديل، أكثر من رغبة التدمير المحض.

لا يهتم الهادم كثيرًا بأمانه الشخصي، مما قد يعرض حياته وحياة من معه للخطر.

الهدف النهائي للهادم هو التغيير، التخلص مما يثير غضبه والعودة إلى التوازن، إنه يعتقد أن دورة الحياة كانت تمر في خلل، وهو لا يريد أكثر من أن يعيدها إلى طبيعتها.

الخطر الذي يحدق إلى هذا النمط هو ألا يعقب هدمه بناء.

ثامنًا: المبدع The Creator

يمثل نمط المبدع كل أنواع الإبداع دون حدود من أعلى الفنون وأعقدها إلى أصغر ابتكار في نمط الحياة أو العمل. نمط "المبدع" مضاد للحالة المستقرة الثابتة ويمكن أن يتسبب ببعض الإرباك بأفكاره الجديدة دومًا، رغم ذلك، فعندما يوظف بشكل صحيح، فهو يساعدنا على التعبير عن أنفسنا وفهمها بطرق عميقة ويضيف بابتكاراته إلى حياة الناس ما يسهلها ويذلل صعوباتها.

يسعى المبدع إلى إثبات "أفكاره" في الخارج من عقله عبر تحقيقها على أرض الواقع.

وأكبر مخاوفه هو أن تكون أفكاره غير مبدعة وغير أصيلة، أو أن يفقد قدرته على الإبداع، فيفقد بذلك جزءًا من ذاته وهويته.

تاسعًا: الحاكم The Ruler

يلهمنا النمط الأولي للحاكم الالتزام بالقانون و"تحمل المسؤولية" عن حياتنا وفي مجالات عملنا وفي المجتمع ككل، لكن مع (الحكم) هناك إغراء دائم وهو إغراء "السيطرة على الآخرين" فإذا تغلب الحاكم على هذا الإغراء فإنه يخلق بيئة جاذبة لكل جهود ومواهب ووجهات نظر الآخرين.

الهدف النهائي للحاكم هو خلق النظام والمؤسسات وبالتالي خلق مجتمع فعال يستطيع فيه رعايا الحاكم أن يعيشوا حياة منتجة وسعيدة نسبيًّا.

الخوف الذي يملكه هذا النمط هو فقدان السيطرة الذي قد يقود إلى الفوضى، أحيانًا يكون النظام والفوضى قريبين من بعضهما بأكثر مما نعتقد.

عاشرًا: المُحوِّل[20] The Transformer

أفتتن البشر منذ بدء التاريخ بفكرة التحويل، تحويل شيء إلى شيء آخر وتغيير حالة إلى أخرى، كان ذلك يتمثل كثيرًا في شخصية الساحر الذي يستخدم قوى غامضة لإحداث التحويل، لكن جوهر هذا النمط ليس "عمل السحر" أو "خرق القوانين الطبيعية" بل القيام بعملية التغيير والتحويل من حالة إلى حالة أخرى، وإذا كانت الأمثلة الأسطورية تقدم قصصًا خرافية مثل تحويل الأمير إلى ضفدع أو تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، فإن التحويل الأكثر واقعيةً ورشادًا هو في إحداث التغيير في بناء الإنسان ونفسيته وسلوكه.

يبحث النمط الأصلي للمُحوِّل عن القوانين الأساسية للعلم و/ أو الميتافيزيقيا لفهم كيفية تحويل المواقف والتأثير في الناس وجعل الرؤى تتحول إلى حقائق.

إذا استطاع المُحوِّل التغلب على إغراء قواه في للتلاعب بالآخرين، فإنه يحفز الطاقات من أجل الخير.

الحادي عشر: الحكيم The Sage

يسعى نمط الحكيم إلى الوصول إلى البصيرة والموضوعية ومعرفة الحقائق التي تحرر الإنسان من جهله وتحيزاته المسبقة.

هذا النمط يساعدنا في أن نرى دواخل أنفسنا بموضوعية، ويعملنا كيف نرى العالم ببصيرة منفتحة ويلهمنا أن نصحح مسار حياتنا بناءً على تحليلات موضوعية لنتائج أفعالنا وخياراتنا.

الخطر على نمط الحكيم يأتي من أن تكون نقطة الانطلاق في رحلته خاطئة، أي أن تكون حكمته مبنية على رمل الباطل، وأن يستغل حكمته للسيطرة على الآخرين.

يتداخل هذا النمط أحيانا مع نمط النقي عندما تكون حكمته تعبر عن قيم دينية صافية.

****

هذه هي الأنماط الأولية[21] الشائعة والمتكررة في أساطير وحكايات الشعوب البدائية[22] أي التي يعتقد تيار علم النفس المرتبط بيونغ أننا ورثناها عبر "اللاوعي الجمعي"، وهي أنماط تملك كما هو واضح بالإضافة إلى صفاتها الإيجابية، جانبًا سلبيًّا مظلمًا

---

[20] في الأصل الساحر (The magician)، ولكن فضلت استخدام تعبير بديل لسوء سمعة الكلمة.

[21] حسب بيرسون هناك نمط آخر لا يناسب المقام وهو نمط المضحك أو المهرج وأهميته هامشية تاريخيًّا.

[22] التركيز على أن هذه الأنماط استلت من حكايات الشعوب البدائية لأن هذه الشعوب لم تكن تمتلك فرصة التواصل فيما بينها، ورغم ذلك امتلكت نفس الأنماط أي أن هذا النمط أصيل في اللاوعي الجمعي، بينما الشعوب الأحدث يمكن أن تتواصل مع بعضها وتتبادل التأثيرات.

أطلق عليه يونغ الظل. فالحاكم قد يتحول إلى مستبد، والمتمرد قد يتحول إلى فوضوي، والمبدع قد يتحول إلى شخص خيالي غارق في الأوهام، واليتيم قد يتحول إلى أسير في دور الضحية، والمحارب قد يدمن الانتصار بمعزل عن القضية، وهكذا.

يمكننا أن نجد شخصياتٍ معاصرة ينطبق عليها هذا النمط أو ذاك من هذه الأنماط، كما يمكن أن نذكر بسهولة تأثرنا بشخصيات في أعمال أدبية وفنية كانت تمثل واحدة أو أكثر من هذه الأنماط الأولية.

بعبارة اخرى، حسب ما سبق أعلاه، فإن لا وعينا الجمعي يجعلنا "مبرمجين" على التأثر والارتباط بشخصيات تمثل هذه الأنماط.

لدينا، في أعماقنا، مناطق معينة تتصرف مثل "برادة حديد" مع قطب المغناطيس.

لكل منطقة برادتها الخاصة التي تنجذب إلى قطب مغناطيس مختلف.

... لكن مرة أخرى.

ما علاقة كل هذا بسيرة حبنا للرسول عليه الصلاة والسلام؟

أزعم أنا، أنه عليه الصلاة والسلام هو الشخص الوحيد في التاريخ الذي يمكن أن نرى ونستشعر (في سيرته وشخصه وسنته) كل هذه الأنماط الأولية، وبجانبها الإيجابي تحديدًا.

هذه الأنماط ترتب عادة على شكل دائري، يبدأ بالـ(النقي)، وينتهي بالـ(مبدع)، وأنا أزعم أنه عليه الصلاة والسلام هو الوحيد الذي جعل هذه الدائرة مغلقة.

كل الأنبياء قبله وكل القادة والمصلحين قبله وبعده حققوا أجزاءً من هذه الدائرة، لكنه وحده عليه الصلاة والسلام جعل هذه الدائرة مغلقة.

ولم يكن هذا كله مصادفة، أو جهد شخصي، بل هو جزء من النبوة الخاتمة، جزء من تقديره عز وجل وفضله وتيسيره.

وهو جزء من رحمته عز وجل بنا، أنه ترك في فطرتنا ما يجعلنا نحبه عليه الصلاة والسلام هذا الحب الذي لا يشبه أي حب آخر..

*****

ليس هذا تحليل نفسي لشخص الرسول الكريم، حاشا نفسه الكريمة الشريفة أن تخضع لتحليل أو تشريح، بل هو تحليل لنا نحن، لحبنا له، تحليل لهذا الحب الذي يشكل جزءًا مهما من شخصيتنا وهويتنا وفهمنا لأنفسنا.

تحليل لهذا الحب الذي لا يفهمه الآخرون، لأنهم لم يعرفوا شيئًا مقارب له.

يمكننا بسهولة أن نرى في أنفسنا تأثرًا وارتباطًا بجزء (اليتيم) من سيرته الكريمة. أو جزء (المحب)، المحب الوفي الذي بقي يحمل أعمق المشاعر للسيدة خديجة رضي الله عنها حتى بعد وفاتها- أو جزء (الباحث) الذي رفض معتقدات قومه قبل أن يأتيه الوحي، أو جزء (المُحوِّل) الذي غير البشر ومن ثم العالم، أو جزء (الحكيم) قبل الوحي وبعده...

افترض أنا أن هذا كله مرتبط بأعماقنا بأكثر مما نعتقد، وأن هذا الارتباط لا علاقة له بالضرورة بتربيتنا على حبه عليه الصلاة والسلام ونشأتنا عليها، بل إن النفس الإنسانية المبرمجة على وجود أنماط أولية تجعلنا نحبه لأنه قدم النموذج الأعلى لهذه الأنماط.

وأزعم أن فهمنا لهذه الفرضية، سيجعلنا نحب أكثر، وبطريقة ترضيه عليه الصلاة والسلام أكثر.

*****

سأشير إلى هذه الأنماط في بعض مواقف السيرة الشريفة.

لكني أريد من القارئ أن ينتبه إلى سيرة علاقته هو بسيرة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام.

وسينتبه أن فيها الكثير من هذه الأنماط.

*****

لماذا الحديث عن هذا مع السيرة في المدينة؟

لماذا لم يكن الأمر منذ أن كتبت عن السيرة في مكة؟

ربما لأن الأمر يصبح أكثر وضوحًا في المدينة، ربما لأننا يمكن أن نرى "الصورة الكبيرة" عندما نصل معه عليه الصلاة والسلام إلى المدينة..

لسنوات وأنا أتامل في لحظة الوصول الفارقة بين زمنين...

ما الذي حدث حقًّا فيها...ما الذي جعل الأمور تتغير هكذا؟

لقد ظهر اكتمال الدائرة هنا في المدينة، وعندما اكتملت، تدفق النور ليغير كل شيء.

كل شيء.